

طرق تنفيذ النقوش الكتابية على العماائر الإسلامية بمدينة عنابة دراسة وصفية تحليلية

فهيمة رزقي،

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 -

الملخص:

تتوعد الأساليب الزخرفية المستخدمة في تنفيذ النقوش الكتابية على عماائر مدينة عنابة خلال الفترة الإسلامية بتتوع المواد المطبقة عليها من رخام وحجارة وجص وخشب، وانطلاقا من هذا سنقدم في هذه المداخلة طرق تنفيذ النقوش الكتابية على العماائر الإسلامية بمختلف أنواعها العسكرية والدينية والمدنية بمدينة عنابة، هذه الأساليب التي تعتبر انعكاس للتطور الفني الزخرفي الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية، كما تبرز لنا الجانب الجمالي.

Résumé :

La ville d'Annaba a une diversité de techniques décoratives utilisées aux inscriptions sur les monuments historiques de différents matériaux ; de la pierre, marbre, plâtre et de bois.

À partir de cela, nous allons dans à cette intervention présenté les méthodes et les techniques de la mise en œuvre de ces inscriptions sur les monuments historiques de la ville d'Annaba dans ces divers types d'architecture; militaires, civils et religieux, ces techniques sont considérés comme un reflet de l'évolution artistique et esthétique du l'Arts islamiques.

مقدمة:

شهدت مدينة عنابة خلال الفترة الإسلامية تطورا في مجال العمارة نتيجة لتطور الأساليب الإنشائية والزخرفية بها، هذا التطور كان له أثره الكبير في تطور المواد المستخدمة في فنون الحفر على الحجر بمختلف أنواعه والجص والخشب، ونظرا لما تتميز به هذه المواد من قابلية للحفر والنقش عليها استغلت إلى جانب استعمالها كمادة بنائية في تنفيذ الكتابات عليها سواء أكانت تأسيسية أو تذكارية أو آيات قرآنية وعبارات دينية ودعائية، وسنقدم في هذه الدراسة المواد المستعملة في نقش وتنفيذ الكتابات على الآثار المعمارية الثابتة بمدينة عنابة خلال الفترة

الإسلامية، ثم نتعرض إلى الأدوات والعدد المستخدمة في تنفيذ هذه النقوش على مختلف المواد، بعدها نتطرق إلى أساليب وتقنيات تنفيذ الكتابات على عماائر المدينة.

1- المواد التي نقشت عليها الكتابات:

تتوعد المواد المستعملة في زخرفة ونقش الكتابات على معالم مدينة عنابة خلال الفترة الإسلامية، وأغلب هذه المواد كانت تجلب من المحاجر المحلية والغابات الموجودة بالمدينة أو القرية منها كالخشب والحجر والجص، في حين كان الرخام يستورد من إيطاليا على الرغم من وفرة بمدينة عنابة، وربما يرجع ذلك إلى عدم توفر آلات استخراجها وورشات استغلاله، والجدول يوضح المواد المستخدمة في تسجيل كتابات معالم مدينة عنابة:

الفترة	المبنى	مكان تواجد الزخرفة	المادة المستخدمة
حفصية	القلعة	أعلى المدخل الرئيسي	حجارة كلسية
عثمانية	حمام شقلبية	أعلى المدخل الرئيسي	حجارة رملية
عثمانية	جامع الباي	الواجهة الجنوبية	رخام
عثمانية	قبة سيدي إبراهيم بن التومي	أعلى المدخل الرئيسي	رخام
عثمانية	دار بنقي	أعلى المدخل الرئيسي	رخام
عثمانية	جامع الباي	واجهة مدخل المنبر	خشب
عثمانية	جامع الباي	الجزء الأعلى من إطار المحراب	جص
مجهولة	جامع سيدي أبي مروان الشريف	واجهة المنبر	جص

جدول يوضح توزيع النقوش الكتابية على عماائر مدينة عنابة الإسلامية.

1.1 الحجر: يعد الحجر بمختلف أنواعه من أهم المواد الإنشائية لتنفيذ النقوش الكتابية عليها سواء كان حجر رملي أو كلسي أو رخام، وذلك لسهولة الحفر عليها مقارنة بغيرها من الأنواع كالبازلت والگرانيت (عبد

الستار، ع. (2013: 198)، ولعل سبب استخدام الحجر في نحت الكتابات العربية هو إنتاج حروف ذات قوة ومتانة وبقاء لأطول فترة ممكنة دون أن تتأثر هذه الحروف بالعوامل الجوية الطبيعية المتلفة مقارنة بغيرها من المواد كالجص والخشب (شرف، فاروق. 2002: 99)، ومن أهم الأحجار المستعملة في تنفيذ النقوش الكتابية بعمائر مدينة عنابة نذكر:

■ الحجر الكلسي:

تتوفر مدينة عنابة وضواحيها على محاجر الحجر الكلسي كونها منطقة ساحلية لأن هذا الصنف يتكون نتيجة تبلور مباشر من الماء وغالبا ما تكون مياه البحار أو عن طريق تراكم الأصداف البحرية (عبد المقصود، م. 2007: 14، 15)، فقد عمل حكام المدينة خلال الفترة الإسلامية على استغلالها في البناء والزخرفة، ويتركب الحجر الجيري نتيجة تلاحم جزيئات الكلس مع بعضها البعض مما ينتج عنه صخر يتميز بشدة صلابته وقوة كثافته، ويصبح قابلا للنحت والنقش والحفر عليه، وهو ذو قابلية ضعيفة للتقلص والتمدد، وقد يتحول الحجر الجيري تحت تأثير عدة عوامل كالحرارة والضغط وبخار الماء إلى أحجار الرخام والمرمر (عبد المقصود، م. 2007: 15)، ونجده منفذا في كتابة اللوحة التأسيسية التي تعلو المدخل الرئيسي للقلعة الحفصية (القرن 7هـ / 13م).

■ الحجر الرملي:

يتكون الحجر الرملي من حبيبات متماسكة ومتكتلة من الرمل مشتملة على معدن الكوارتز، وتربطها ببعضها البعض مادة لاحمة سليسية سيليكونية، وقد تكون المادة الرابطة مشتملة على أكسيد الحديد مما يكسب الحجر لونا أحمر أو بنيا ويكون في هذه الحالة أكثر صلادة ومتانة، في حين تضيف المواد الكلسية أو السيليسية على الحجر لونا أبيض أو أصفر أو رماديا ويكون أقل صلادة (عبد المقصود، م. 2007: 15)، واستخدم هذا النوع من الحجارة - حجارة رملية صفراء اللون - في نقش الكتابة الدعائية التي جاءت تعلو المدخل الرئيسي لحمام شقلبية المشيد خلال العهد العثماني.

■ الرخام:

هو نوع من الصخور المتحولة بالحرارة والضغط، يتكون أساسا من معدن الكالسيت أو معدني الكالسيت والدولوميت، وهو في الأصل حجر

جيري، يتميز بالصلادة ذو لون أبيض ناصع إذا كان نقياً، وقد تتعدد ألوانه تبعاً للشوائب التي يحتويها حيث نجد:

- الرخام الأحمر: الذي ينتج عن ارتفاع نسبة الهيماتيت في الصخر.
- الرخام الأصفر أو البني: ينتج عن ارتفاع نسبة الليمونيت في الصخر.
- الرخام الأخضر: تبعاً لارتفاع نسبة السرينتين أو التلك أو الهورنبلند.
- الرخام الأسود أو الرمادي: ينتج عن ارتفاع نسبة المواد الفحمية. (عطية، أ. 2004: 101 - 102).

نظراً لما يتميز به الرخام من نعومة ملمسه، وصقل سطحه، ودقة مسامه، وطواعيته في الحفر عليه فإنه استعمل في نقش وتنفيذ النصوص الكتابية، حيث استخدم في زخرفة اللوحات التأسيسية كاللوحات التأسيسية بجامع "الباي" (1771-1792م) واللوحات التذكارية بدار "بنقي" حيث استعمل فيهما الرخام الرمادي ذو البقع السوداء، واللوحات التأسيسية بقبة "سيدي إبراهيم بن التومي" استخدم فيها الرخام الأبيض المائل للصفرة. وتتميز محاجر الرخام في الجزائر بجودة أنواع الرخام وتعدد ألوانه، ونذكر منها بالشرق الجزائري محجر فليفلة بولاية سكيكدة ويعتبر من أجود أنواع الرخام، أما بعنابة فقد اشتهرت محجرتان وهما محجرة قلعة جينة الذي يتميز رخامه بشدة مقاومته ولونه يميل إلى الرمادي ذي البقع السوداء، بالإضافة إلى سرعة التحكم فيه أثناء عملية الصقل لجعله أكثر نعومة، استغله الرومان قديماً، بالإضافة إلى محجرة واد العناب الذي يحتوي على أنواع عدة من الرخام ذات ألوان مختلفة، نذكر منها رخام رمادي يميل إلى الأبيض، وأبيض تتخلله بعض البقع الصفراء والزرقاء (بن بلة، خ. 2007 - 2008: 345، 346)، وعلى ما يبدو أن محاجر الرخام بمدينة عنابة وضواحيها لم تستغل خلال الفترة الإسلامية في البناء لانعدام آلات استخراجها وقلة اليد العاملة ويمكن تعليل ذلك بقلة استخدامه في عمائر المدينة، عدا بعض الاستعمالات القليلة التي نجدها منفذة في اللوحات التأسيسية والتذكارية السابقة الذكر.

2.1 الجبس:

وهو صخر رسوبي كيميائي، ينتج عن تبخر مياه البحيرات وترسب طبقات الجبس، ويتركب الجبس الخام النقي من كبريتات الكالسيوم، والجبس غير النقي يحتوي على شوائب متمثلة في الطين وكربونات

الكالسيوم والمغنيزيوم (عطية، أ. 2004: 95)، ومن ميزات الجص سهولة تشكيله وطواعيته للنقش عليه، وقد استعمل في نقش كتابات الجزء الأعلى من واجهة محراب جامع الباي (1771-1792م) وأيضاً واجهة عقد مدخل منبر جامع سيدي أبي مروان الشريف (القرن: 5/ 11م).

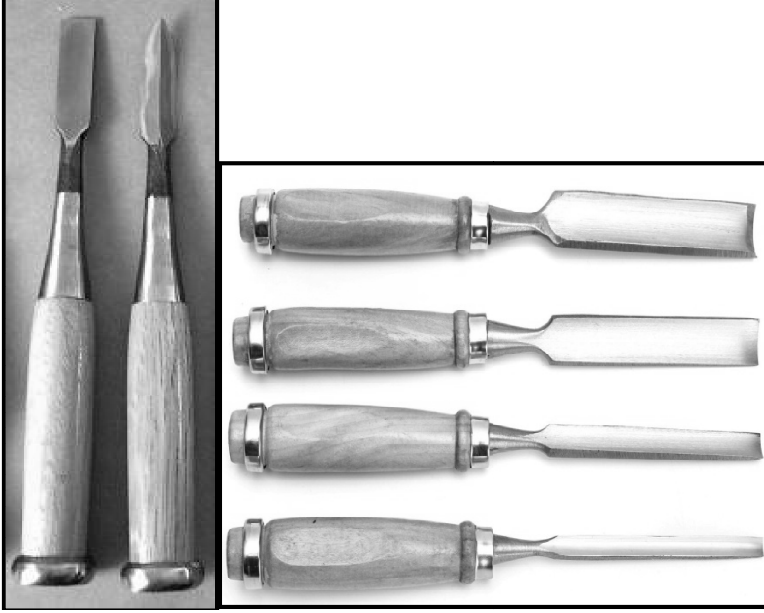
3.1. الخشب:

إمتازت المناطق الغابية المحيطة بمدينة عنابة (غابات الإيدوغ ويني صالح والقالا والسيبوس) بجودة أنواع خشبها وملاءمتها لأعمال البناء وصنع السفن الشراعية، فقد صنعت بها زوارق صغيرة بميناء عنابة خلال العهد الحفصي (سعيدوني، ن. 1976: 99)، وكان يجلب من غابات أشجار الجوز المتكاثرة في الشمال القسنطيني ولا سيما تلك المنتشرة بين القل ومنطقة جيجل (معزوز، ع. 2001: 72، 73)، وقد استعمل هذا النوع من الأخشاب في صنع وزخرفة منبر جامع الباي، حيث نفذت به الكتابات المنقوشة على واجهة المنبر، ويعتبر خشب الجوز من أجود أنواع الأخشاب وأفضلها قابلية للحفر، نظراً لما يشتمل عليه من ألياف مندمجة وخصائص تجعل العمل الزخرفي عليه سهلاً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو مقاوم لضربات الدق والحفر والنقر عليه، يتراوح لونه بين اللون البني والرمادي، ويمتاز خشب الجوز بتماسك أليافه، وقلة تعرجها وسهولة الحفر عليها بطريقة عرضية، إضافة إلى قابليته للنقوش الزخرفية الدقيقة دون تعرضه للتشقق، ومن ميزاته أيضاً نعومة ملمسه عند صقله (الأفندي، أ. 2011: 21)، (معزوز، ع. 2001: 72، 73).

2 الأدوات والعدد المستخدمة في تنفيذ كتابات عمائر مدينة عنابة الإسلامية:

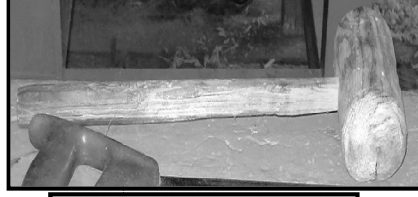
1.2. الإزميل (صورة 1): عبارة عن قطعة معدنية مستطيلة مشطوفة من أحد طرفيها، وله حد قاطع، وطرفه السفلي مسلوب كنهاية المبرد لتركيب المقبض الخشبي فيه الذي ينتهي بجلبة من النحاس لحمايته من الكسر، ويستعمل الإزميل لتحديد الزخارف، وفي فصل جزئيات المادة المطبقة عليها الزخارف سواء كانت خشب أو حجر أو رخام أو جص، وفي عملية شطف الحواف والتنظيف، وتتوفر الأزمايل بمقاسات مختلفة وأنواع عدة منها الإزميل المدبب الذي يستخدم لحفر الخط الخارجي للكتابات قبل البدء في إزالة الأرضية من حولها، والإزميل المائل المشطوف، وإزميل الضفرة يستعمل

لحذف أكبر كمية من الأرضية ويساعد على سرعة الحفر، والإزميل المسطح يستعمل للحصول على أرضية مستوية خالية من التحديق (المهدي، ع و الحسيني، م. 1995: 25)، (الأفندي، أ. 2011: 30)، (شرف، ف. 2002: 100).



صورة 1 / نماذج للأزاميل.

22. الدقماق (صورة 2): عبارة عن قطعة مصنوعة من الخشب الصلب، سميك ووزنه ثقيل، يتخذ شكلا أسطوانيا، وله ذراع ملفوف أملس، ويمكن تركيب جلبه من الحديد للجزء الأسطواني لزيادة الثقل، ويستعمل الدقماق كمطرقة ومدق للطرق على مقبض أدوات الحفر (شكل 1) لتسهيل إزالة المادة الغير مرغوب فيها (الأفندي، أ. 2011: 30).



صورة 2 / الدقماق



شكل 1 / استخدام الدقماق في عملية الحفر

(عن أحمد عبد العزيز الأفتدي)

3.2 الشاكوش (صورة 3): عبارة عن كتلة من الحديد مثبتة في يد خشبية تستعمل لمسكه عند استعماله.



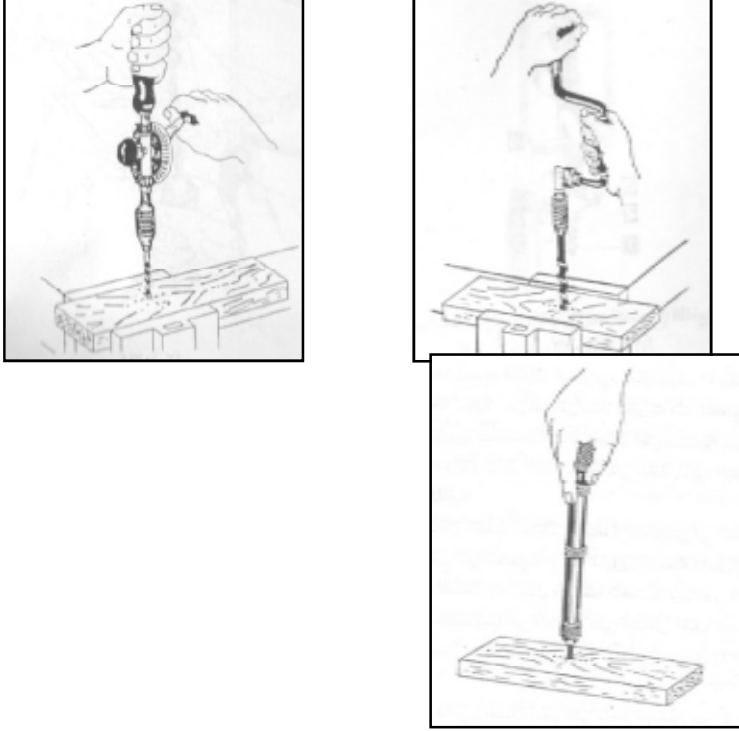
صورة 3 / نموذج للشاكوش

4.2 أدوات الثقب:

■ المثقاب:

تتم عملية ثقب الخشب بعدة وسائل منها الملف (شكل 1.2) والمثقاب اليدوي (شكل 2.2) والمثقاب الحلزوني (شكل 3.2)، ويتم

تحديد مركز الثقب ثم تثبت الأدوات المستخدمة في مكان الثقب وبيدأ بالضغط على المثقاب اليدوي، وإذا كان حلزوني يحرك في اتجاه عقارب الساعة حتى يحدث الثقب على المادة (الأفندي، أ. 2011: 42).

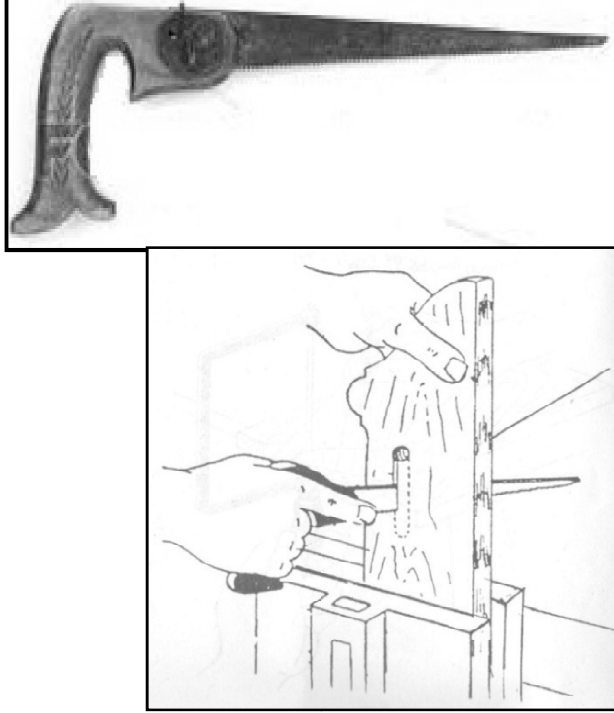


1 / مثقاب الملف 2 / مثقاب يدوي 3 / مثقاب حلزوني

شكل 2 / المثقاب (عن أحمد عبد العزيز الأفندي).

■ منشار الزوانة أو منشار الثقب (صورة 4):

عبارة عن أداة معدنية مسلوية الشكل، عرضها من الطرف الأمامي أقل من عرضها عند المقبض، ويقطع في الاتجاه الأمامي وأسنانه مفلجة، يستخدم في نشر الثقوب المستديرة والزوانية وتفرغ الأقواس، وكذلك نشر المنحنيات الداخلية التي لا يمكن استعمال منشار الأركت فيها بسبب ضيق إطاره، وتتم عملية القطع بمنشار الزوانة بإحداث ثقب بالقرب من الخط الذي تبدأ عملية القطع فيه ثم يمر السلاح بالنشر على خطوط التصميم (الأفندي، أ. 2011: 33).

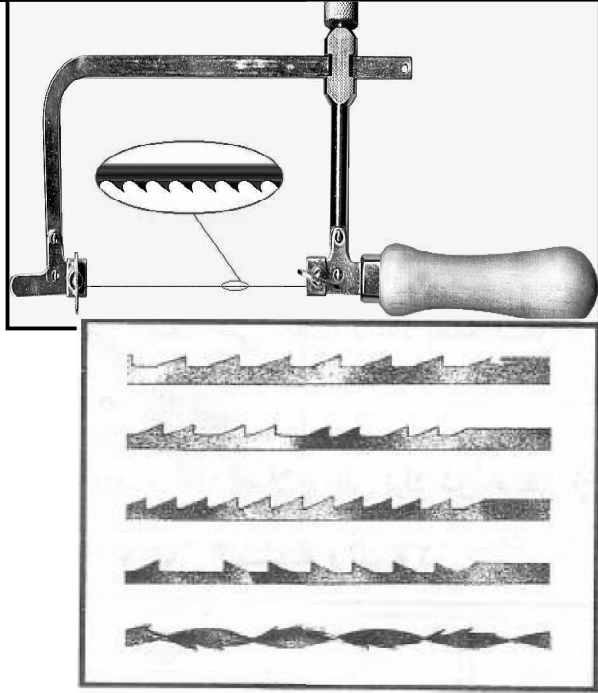


صورة 4 / منشار الزوانة (منشار الثقب).

شكل 3 / استخدام منشار الثقب في عملية تفريغ الخشب (عن أحمد عبد العزيز الأفندي)

5.2- منشار الأركت اليدوي (صورة 5):

يستخدم في تفريغ مسطحات الخشب صغيرة السمك ودقيقة التفاصيل ذات الخطوط المستقيمة والمنحنية، يتركب من برواز من الصلب على هيئة حرف اللاتيني، مثبت على أحد طرفيه مقبض خشبي لإمساك المنشار وتحريك البرواز إلى أعلى وأسفل، والسلاح القاطع عبارة عن منشار دقيق جدا ورفيع يحتاج إلى مهارة عند العمل به، يثبت بين طرفي البرواز، وتكون أسنان صفيحة المنشار القاطعة متجهة إلى أسفل، ويعتبر اختيار صفيحة المنشار المناسبة لسمك الخشب ضرورة لا بد منها للحصول على قطع ناعم مستو (المهدي، ع و الحسيني، م. 1995: 8، 10)، (الأفندي، أ. 2011: 33).



صورة 5 / منشار الأركت اليدوي
شكل 4 / نماذج لصفائح منشار الأركت
(عن عنايات المهدي و محمد الحسيني).

أما عن الأدوات المستخدمة في الحفر على الرخام فهي نفسها المستعملة في الحفر على الحجر الجيري لكتّها تتميز عنها أنّها تتعرض لمعالجة حرارية خاصة تكسبها صلابة تتناسب والحفر على الرخام (شرف، ف. 2002: 104).

3 طرق تنفيذ النقوش الكتابية على عمائر مدينة عنابة:

تتوعد الأساليب الزخرفية المستعملة في زخارف منشآت مدينة عنابة بمختلف أنواعها خلال الفترة الإسلامية نتيجة تنوع المواد المنفذة عليها، ومن خلال الدراسة الميدانية استطعنا تمييز طريقتين لتنفيذ النقوش الكتابية:

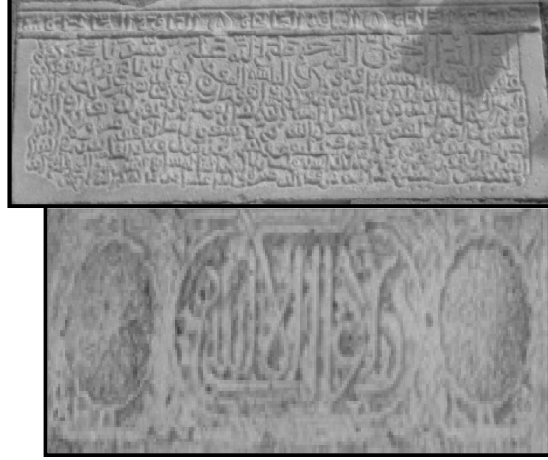
1.3 طريقة الحفر البارز:

▪ على الحجر الكلسي والرملي:

تعتبر طريقة الحفر على الحجر الكلسي من أسهل الطرق في تنفيذ الكتابات لما يتميز به من خصائص كونه يتكون من حبيبات دقيقة تسمح

بالنحت والنقش عليه، وأيضا تميّزه بالترابط والتماسك مما يسمح بالمحافظة على النقوش فترة طويلة ضد العوامل الطبيعية، ويتميّز كذلك بالصلاية حيث تساوي الكتلة الحجمية 2,6 كلغ/م³، وأيضا له قابلية ضعيفة للتقلص والتمدد (3: Durville, J-L. et Héraud, H.SD).

وبدأت طريقة الحفر على الحجر باستخدام تقنية الحفر الغائر ثم تطورت طرق الحفر إلى إتباع أسلوب الحفر البارز الذي يتطلب حفر المساحات حول النقش الكتابي كله ليبدو بارزا، ولنقش نص كتابي على الحجر تنفذ الكتابة على ورق الكربون وبعدها يطبع على السطح الحجري، ويقوم النقاش بحفره بأدوات مختلفة، أو يُكتب النص مباشرة على السطح الحجري ثم يتولى النقاش عملية حفر السطح من حدود حروف كلمات النص والفراغات التي بينها حتى يبرز النقش عن مستوى السطح بالقدر المطلوب (عبد الستار، ع. 2013: 199)، (شرف، فاروق. 2002: 99)، وتستعمل هذه الطريقة في حالة الحفر البارز التي نجدها مطبقة في نقش النصوص الكتابية على اللوحة التأسيسية للقلعة الحفصية بمدينة عنابة حيث عمد النقاش إلى خلق الاتزان والتوافق والتباين من خلال حفر الأرضية بعمق واحد وكذلك إبراز ارتفاع الحروف عن الأرضية بمستوى واحد (صورة 6)، ويتجلى أسلوب الحفر البارز أيضا في العبارة الدينية المنفذة على الحجر الرملي التي تعلو مدخل حمام شقلبية (صورة 7)، حيث تساعد تقنية الحفر البارز في بروز ووضوح النقش الكتابي، كما أنّها تبرز جماليات الخط المستعمل في الكتابة أكثر من الحفر الغائر مما يسهل قراءة النقش (عبد الستار، ع. 2013: 199)، (شرف، فاروق. 2002: 99)، وبعد انتهاء أعمال الحفر وبرز الكتابات يتم صقل وتسوية الحروف وإزالة الزيادات بواسطة المبارد والأزاميل (شرف، فاروق. 2002: 100)، والمتأمل لهذه الوحدات الكتابية المنفذة على مادة الحجر - سواء كلسي أو رملي - وفق تقنية الحفر البارز يتضح له ما وصل إليه أسلوب تنفيذ النصوص الكتابية خلال الفترة الحفصية والعثمانية بمدينة عنابة من دقة في الصنع وإتقان ومهارة الفنان في تطبيق الحفر البارز على مادة الحجارة.



صورة 6 / كتابات حجرية بارزة - القلعة الحفصية .

على الجص:

يذكر ابن خلدون قائلاً: "... ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التثمين والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء، ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد، إلى أن يبقى له رونق ورواء..." (ابن خلدون، ع. 1981: 324)، وانطلاقا من هذا النص الذي يوضح فيه ابن خلدون طريقة الزخرفة على الجص التي يصطلح عليها في بلاد المغرب تسمية نقش حديدة يقوم النقاش أولا برسم الأشكال الزخرفية المراد الحصول عليها على الورق المقوى، ثم يتم تطبيقها على الجدران بعد أن يتم وضع الجص على السطح المراد زخرفته حيث يتراوح سمك الطبقة الجصية ما بين ثلاثة إلى أربعة سنتيمترات، بعدها تنفذ الزخارف المراد الحصول عليها على مادة الجص وهو مازال رطبا ولينا، ويستخدم في ذلك الأزاميل باستخدام طريقة التثقيب بإحداث ثقوب على الورق متتبعاً الأشكال الزخرفية، ثم يستعمل قطعة قماش ناعم يضع فيها مادة ناعمة مثل الجص ولكن بلون مختلف عن لون الجدار المراد تنفيذ الزخارف عليه، ويتم طرقيها على الورق المقوى حتى تظهر الرسوم على الجدار لنفاذها عبر الثقوب، بعدها يتم توصيل وإكمال العناصر الزخرفية، وباستخدام أداة حادة تتم عملية الحفر أو الحز وفق الأسلوب المطلوب (رزقي، ن. 2014 - 2015: 13، 14)، ومن مجالات استخدام هذا الأسلوب بكتابات عمائر مدينة عنابة خلال الفترة الإسلامية

نذكر واجهة منبر جامع سيدي أبي مروان الشريف (القرن: 5/ 11م)، وواجهة محراب جامع الباي (1771- 1792م)، وفي هذين النموذجين جاءت الزخارف الجصية محفورة حضرا بارزا، حيث تم أولا تهيئة المكان المراد تنفيذ الزخرفة عليه التي تمثل في النماذج المدروسة واجهة منبر جامع سيدي أبي مروان الشريف حيث نفذت النقوش الكتابية على عقد أصم من مادة الجص بعد أن تمت صناعته أولا بالقالب وقبل جفافه حضرت عليه كتابات دينية - تتمثل في شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وعبارات ترهيب - حضرا بارزا (صورة 9)، أما النموذج الثاني للزخرفة الجصية البارزة نجده مطبقا بواجهة محراب جامع الباي حيث عمل النقاش أولا على طلاء واجهة المحراب بطبقة من الجص ثم قام بتنفيذ كتاباته عليها وفق تقنية الحفر البارز (صورة 8).

وفي كثير من الأحيان تستعمل قوالب للحصول على زخارف منفردة بعدها تُثبت في المساحة المطلوبة، ولا بد للجصاص أن يأخذ وضعية مريحة عند نقشه للتفاصيل الزخرفية الدقيقة أو الكتابات، وتتم عملية النحت إما على مستوى عمودي للجدار أو نحتا مائلا متجها إلى أعلى (باكار، أ. 1974: 61).



صورة 8 / زخارف جصية بارزة - محراب جامع الباي - (عن بن بلة خيرة).



صورة 9 / زخارف جصية بارزة - واجهة منبر جامع سيدي أبي مروان الشريف.

23 طريقة الحفر المفرغ على الخشب:

تأثرت الزخارف التي حفرها الفنانون في صدر الإسلام على التحف الخشبية بالزخارف الساسانية والهلينسية ثم تطورت إلى أن أصبح للفن الإسلامي أساليبه الخاصة في هذا الميدان (ديمان، م. 1954: 115)، (حسن، ز. 1948: 443)، فقد عرفت تقنية الحفر على الخشب قبل الإسلام واستمر تداولها منذ القرن الأول الهجري حيث استخدمت عدة تقنيات وأساليب في الحفر في موضوع زخرفي واحد (الحارثي، ن. 1986: 32، 33).

وتتم عملية الحفر على الخشب عن طريق رسم الموضوع الزخرفي على الورق ثم تنفيذه على المادة الأولية، كما يمكن إحداث حروز بسيطة على المادة الأولية مباشرة ثم حفرها حفرا بارزا أو غائرا أو مائلا، وللحصول على زخارف محفورة متماسكة مدة طويلة هناك عدة معايير يجب على النقاش التقيّد بها منها مراعاة تجاورها وتكرارها وربطه لأجزائها وتوزيعها وفق طريقة متناسقة، بالإضافة إلى إتباع خطوات التنفيذ بدقة وتساهي عمق الحفر (الحارثي، ن. 1986: 33، 34).

استخدم أسلوب الحفر المفرغ في تنفيذ الكتابات الدينية المنقوشة بمدخل منبر جامع الباي (1771- 1792م) بمدينة عنابة، ونفذت بخط الثلث إذ تحتوي شهادة التوحيد " لا إله إلا الله " والرسالة المحمدية " محمد رسول الله "، وجاءت متقنة ومنفذة وفق تفاصيل دقيقة وملونة باللون الأبيض (صورة 10)، وقد عرفت طريقة التلوين في زخرفة العناصر الزخرفية المحفورة منذ العصور السابقة للإسلام عند قدماء المصريين وإستخدامها المسلمون في بداية العصر الإسلامي (علي، ن. دت: 283)، وشاع هذا النوع من أسلوب الحفر على الخشب خلال العهد العثماني، ويسمى الحفر المفرغ المصق على سطح خشبي آخر قشرا (الأفندي، أ. 2011: 78). ولعل ما يبرز براعة الفنان خلال العهد العثماني في طريقة تنفيذه للنقوش الكتابية تلك الحروف المفرغة والتفنن في ترتيبها وإصاقها على سطح المادة الأولية بطريقة متداخلة ليشكل منها عبارات دينية فتبدو وكأنها محفورة حفرا بارزا كما هو الحال بالنسبة للنقوش التي تزيّن أعلى مدخل منبر جامع الباي حيث نلاحظ على سبيل المثال تداخل بعض حروف الكلمات حيث تم

تشبثت حرف الألف لأداة النفي "لا" على الأرضية أولاً ثم تركيب حرف الألف للفظة "اله" فوقها في وضع متقاطع مما خلق نوع من التميز والمهارة في تنفيذ تقنية الحفر المفرغ على مادة الخشب.

يتم الحفر المفرغ عن طريق تفريغ أرضية العناصر الزخرفية بحيث تتفصل هذه الأرضية عن السطح الأصلي للخشب باستعمال أدوات الحفر، ومن مميزات هذه التقنية الدقة والمهارة والإتقان، حيث انطلاقاً من معايينة الصورة التي بحوزتنا (صورة 10) يتبين لنا أنّ الكتابة المتمثلة في شهادة التوحيد والرسالة المحمدية المكتوبة بخط الثلث أنها منفذة بطريقة التفريغ وبالتحديد ما تعرف بحفر الشرائح وفيها يقوم النقاش بنشر العناصر الزخرفية ليتم فصلها بشكل نهائي عن سطح أرضية الخشب الأساسي، ويتحصل على مجموعة من الشرائح يتم فيما بعد تجميعها ولصقها على سطح خشبي آخر بمادة الغراء التي تحضر من جلود الحيوان وعظامها - تتوفر على شكل حبيبات صغيرة يتم تذويبها في الماء الساخن - ويمتاز هذا النوع من الغراء بقوة التصاق كبيرة، ويراعى في هذه التقنية (حفر الشرائح) توافق مسار نشر الخشب في اتجاه تعاريق الخشب قدر الإمكان (الأفندي، أ. 2011: 19، 57).

ولتنفيذ تقنية التفريغ هناك خطوات على النقاش إتباعها وهي:

بأن ينقل التصميم المراد الحصول عليه إلى سطح الخشب بواسطة ورق الكربون، ويتم تحديد الشكل والأرضية في التصميم بواسطة إزميل، بعدها تثقب أرضية التصميم باستخدام مثقاب لتسهيل دخول سلاح المنشار اليدوي، ويربط بعدها منشار الأركت من أعلى بحيث يكون مشدوداً مع مراعاة اتجاه أسنان المنشار إلى أسفل، ثم توضع قطعة الخشب المراد تفريغها على ركيزة خشبية مثبتة جيداً ليشرع الفنان في عملية النشر وذلك بتحريك منشار الأركت لأعلى ولأسفل وفق حركة ترددية على خط التصميم المراد تفريغه (الأفندي، أ. 2011: 32).



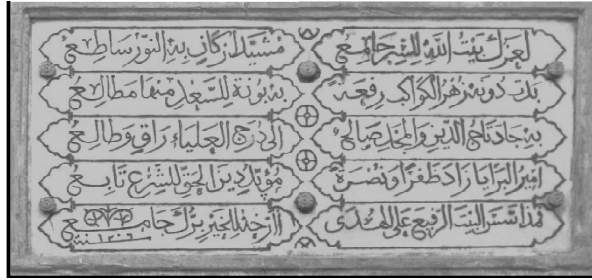
صورة 10 / كتابات مفرغة - منبر جامع الباي - (عن إبراهيم خذير).

3.3 طريقة الحفر الغائر على الرخام المملوء بالرخاص:

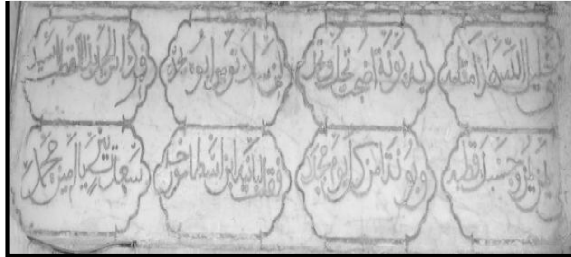
تتم عن طريق تحديد الزخارف على سطح التحفة ثم حفرها بعمق يصل إلى واحد سنتيمتر كحد أقصى باستعمال إزميل حديدي للحصول على كتابات غائرة، ثم يقوم الصانع بإحداث ثقب على مسافات متفاوتة، ويضاف الرصاص المذاب لملء الأخاديد الكتابية والزخرفية (دحدوح، ع. 2009-2010: 697)، (معزوز، ع. 2001: 85)، ويعتبر الحفر الغائر أسهل وأيسر وأسرع في تنفيذ النقش مقارنة بالحفر البارز، وقد ساد الحفر الغائر في بداية العصر الإسلامي ثم أصبح الحفر البارز أكثر شيوعاً مع تطور أساليب الحفر وأدواته، وإكتساب الخبرة بمرور الزمن (عبد الستار، ع. 2013: 199)، وقد ورث المسلمون هذا النوع من الحفر عن الفن الهلنستي، وظل متداولاً في العصر الأموي والعباسي، ومن سمات هذا الأسلوب حفظ النقوش والزخارف المحفورة حفراً عميقاً من التأثير بالعوامل الطبيعية كالتعرية، كون النقوش الكتابية حفرت حفراً غائراً وتركت الأرضيات المحيطة بها كما هي دون حفر.

وقد عثرنا على ثلاث كتابات رخامية بعمائر مدينة عنابة اثنتان تأسيسية نجدها بجامع الباي وقبة سيدي إبراهيم بن التومي، وواحدة تذكارية بدار بنقي، محفورة حفراً غائراً بعمق متساوٍ وملئت حروفها بمادة الرصاص لإضفاء مظهر جمالي على النقوش الكتابية وكذلك جعلها أكثر وضوحاً للقارئ المتأمل لمحتوى النص، وتمتاز هذه النقوش بدقة أسلوب التنفيذ والإتقان (صور 11، 12، 13)، ويرجع ذلك أيضاً للمادة المستعملة في تنفيذ الكتابات وأيضاً نوعية الخط كما هو موضح في (الصورة 11) التي تمثل اللوحة التأسيسية لجامع الباي حيث استعمل خط الثلث في كتابتها، كما أنّ استعمال الرخام الرمادي ذو البقع السوداء ساعد على إبراز النقوش بدقة ووضوح (صورة 13)، على عكس اللوحة التأسيسية لقبة سيدي إبراهيم بن التومي التي تبدو أقل وضوحاً على الرغم من إتباع طريقة الحفر - الغائر المملوء بالرخاص - نفسها وكتابتها بخط

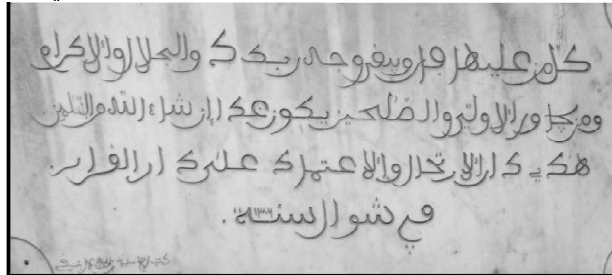
الثلاث، وربما يرجع ذلك إلى لون المادة الأولية المتمثلة في الرخام الأبيض ذي البقع الصفراء (صورة 12).



صورة 11 / كتابات غائرة مملوءة بالرصاص - جامع الباي -



صورة 12 / كتابات غائرة مملوءة بالرصاص - قبة سيدي إبراهيم بن التومي -



صورة 13 / كتابات غائرة مملوءة بالرصاص - دار بنقي -

خاتمة:

تتوع مواد الزخرفة المنفذة عليها الكتابات على عماائر مدينة عنابة خلال الفترة الإسلامية منها الحجر الكلسي والحجر الرملي والرخام والجص والخشب.

استخدام أسلوب الحذف في نقش كتابات عماائر مدينة عنابة الإسلامية منها الحفر المفرغ على مادة الخشب، والحفر البارز على الجص والحجارة الكلسية والرملية، في حين عرفت الكتابات على مادة الرخام حفرا غائرا بعمق أقل وبمستوى واحد مملوء بمادة الرصاص، وهذا راجع إلى الصلابة التي يتميز بها الرخام وصعوبة الحفر عليه حفرا بارزا، كما أنّ شكل وحجم المادة الحاملة للكتابات سواء كانت صلبة أو أقل صلابة أو سهولة الحفر يتحكم في أسلوب تنفيذها وجودتها.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- ابن خلدون، عبد الرحمن. (1981م)، المقدمة، بيروت، دار العودة.
- الأفتندي، أحمد عبد العزيز. (2011)، رؤية حديثة للمشغولات الخشبية بالمتحف الإسلامي بالقاهرة، ط1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- باكار، أندرية. (1974م). المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، مج1، ترجمة: سامي جرجس، نشر أوتوليه.
- بن بلة، خيرة. (2007-2008م). المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني. رسالة منشورة لنيل شهادة دكتوراه دولة في (الآثار الإسلامية)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
- الحارثي، ناصر علي. (1406هـ / 1986م). أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني، دراسة فنية حضارية. رسالة ماجستير لنيل درجة الماجستير في (الحضارة الإسلامية)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- خدير، إبراهيم. (2011 - 2012م)، المنابر الخشبية بمساجد الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة أثرية فنية. مذكرة غير منشورة لنيل شهادة الماجستير في (الآثار العثمانية)، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- دحدوح، عبد القادر. (2009 - 2010). مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية. رسالة منشورة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في (الآثار الإسلامية)، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر.
- ديماند، م.س. (1954). الفنون الإسلامية، ط1، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، دار المعارف.

رزقي، نبيلة. (2014 - 2015). الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس (القرن 7 - 8هـ / 13 - 14م)، دراسة تحليلية مقارنة. رسالة غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه علوم في (علم الآثار والمحيط)، قسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

زكي، محمد حسن. (1948). فنون الإسلام، ط1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

سعيدوني، ناصر الدين. (1976). "الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني"، مجلة الأصالة، العدد (34، 35)، ص.ص (86 - 103). الجزائر.

شرف، فاروق. (2002)، فن النحت والاستساح، ط1، القاهرة، دار القاهرة للكتاب.

عبد الستار، عثمان محمد. (سبتمبر 2013). أضواء جديدة على الكتابات في الآثار الإسلامية " طرق تنفيذها وأساليب تشكيلها"، مجلة مقاليد، المحقية الثقافية السعودية في فرنسا، العدد (6)، ص.ص (197 - 230).

عبد المقصود، محمد. (2007)، الصخور من المنشأ والتكوين إلى الحضارة والعمارة والفنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عطية، أحمد إبراهيم. (2004)، مبادئ الجيولوجيا للآثارين، ط1، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع.

علي، نوال جابر محمد. "الأساليب الزخرفية المستخدمة في تنفيذ الزخارف على التحف الخشبية في العصر التيموري"، ص.ص (279 - 287).

معزوز، عبد الحق. (2011)، شواهد القبور في المغرب الأوسط بين القرنين 13-2هـ / 8 - 19م، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

المهدي، عنايات. و الحسيني، محمد. (1995)، فن تشكيل الخشب الأركت، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.

باللغة الأجنبية:

Durville, Jean-Louis. et Héraud, Hubert. « description des roches et des massifs rocheux », techniques De l'ingénieur, traité construction, (c352).